المحاضرة رقم 7

مدارس الإخراج–المدرسة الواقعية Realism

تُعد المدرسة الواقعية من أهم الاتجاهات في تاريخ السينما، حيث ظهرت كاستجابة للتقنيات والأساليب الفنية السابقة التي كانت تركز بشكل أكبر على الأساطير والخيال. وتهدف إلى تصوير الحياة اليومية بطريقة تعكس الصدق والمصداقية، مع التركيز على القضايا الاجتماعية والسياسية التي تهم المجتمع، وتعتبر واحدة من أبرز الاتجاهات التي شكلت تاريخ الفن السابع، حيث ظهرت كرد فعل ضد الأساليب الفنية التي كانت تركز على الخيال والأساطير في الفترة السابقة. هذه المدرسة سعت إلى تقديم صورة واقعية وموضوعية للحياة، بعيدًا عن التجميل أو التحيز الذي قد يخلقه الخيال أو الأساطير.

تعتمد الواقعية على تصوير الحياة اليومية كما هي، مع التركيز على التفاصيل الدقيقة التي تعكس الواقع الاجتماعي والسياسي، مما يعكس القضايا الإنسانية الأكثر تأثيرًا في المجتمع. وقد عمد المخرجون الواقعيون إلى إبراز الصراعات الاجتماعية والاقتصادية، مثل الفقر، والتمييز، والصراعات الطبقية، مع التأكيد على تجسيد الشخصيات والأحداث بطريقة بسيطة وصادقة.

في هذا السياق، تميزت الأفلام الواقعية باستخدام تقنيات تصوير تركز على البساطة، مثل التصوير في الأماكن الطبيعية أو استخدام كاميرات يدويّة لتوفير إحساس بالمصداقية والواقعية. كما كانت تلك الأفلام تسعى إلى نقل أحاسيس الشخصيات والتفاعل مع محيطهم بطريقة تلامس الحقيقة بشكل مباشر، بعيدًا عن التأثيرات الفنية الزائدة، ولم تقتصر فقط على تقديم صور للأحداث، بل سعت أيضًا إلى طرح تساؤلات نقدية حول الواقع الاجتماعي والسياسي، وبالتالي، كانت هذه الأفلام بمثابة مرآة للمجتمعات التي تنتمي إليها، وتعمل على التفاعل مع القضايا الحية التي تشغل الجمهور.

يقول الفنان صلاح طاهر (الفن هو أسمى وأنبل أنواع الكذب، وهو أصدق أنواعه لأنه يفوق الصدق).

الواقعية: المدرسة الواقعية (Realist School): هي محاولة نقل الواقع بشكل موضوعي. أيقوني. أي تجزيئي ويتطابق بقدر الإمكان مع الموضوع ومع إخفاء معالم الصنعة بمعنى ألا يشعر المشاهد بأي عملية تلفزة أو يحس بأن هناك قصد في حركة الكاميرا أو بالضوء أو بغيره من أدوات التعبير من أصوات أو موسيقى أو غيرها. فلابد وان تبدو الصورة أو الرسالة تلقائية تماما يحس معها المشاهد إنه أمام شيء حقيقي كالواقع تماما وليس أمام شيء خيالي.

فالفن ليس نقل فوتوغرافي للواقع... والواقعية وإن كانت تعنى المصداقية فإن مصداقية نقل الواقع لا تعني تصوير هذا الواقع كما يراه الإنسان العادي بل إن هذا الواقع لا يظهر منه إلا جزء بسيط هو الجانب المرئي. أما باقي هذا الواقع فموجود وراء هذا الواقع وفي علاقته بالمكان أو البيئة المحيطة به، بل وفي علاقة هذا الواقع بالمكان والزمان... هذا ما يعني الإيقونية. أي تجزي كل ما في هذا الواقع وما وراءه وعلاقاته (تحليل ظاهر الواقع). أي أنها هي نقل الواقع بشكل موضوعي تحليلي.

وهذا المذهب الاخراجي يرتبط دائما بالبرامج الوثائقية كالريبورتاجات والتحقيق وبرامج الإبراز والأفلام التسجيلية بجانب الموضوعات الدرامية ذات المضمون الاجتماعي.

الخصائص الأكاديمية للواقعية

1. **التصوير الدقيق للحياة اليومية:** تركز أفلامها على تصوير الحياة كما هي، مستعرضة تفاصيل الشخصيات والأحداث بشكل دقيق. يقول الناقد السينمائي أندريه بازين: "الواقعية ليست طريقة، بل هي فلسفة تعبر عن فكرة أن الفيلم يجب أن يكون مرآة للواقع" (بزين، 1958، ص 12). هذه الفلسفة تجعل المشاهدين يتعاطفون مع الشخصيات ويشعرون بأنهم يعيشون تجاربهم.

2. **استخدام مواقع حقيقية:** تفضل الأفلام الواقعية التصوير في أماكن حقيقية بدلاً من الاستوديوهات، مما يعزز الإحساس بالمصداقية. يعكس هذا الاستخدام للبيئات الطبيعية رغبة صناع الأفلام في خلق تجربة سينمائية أكثر قربًا من الواقع.

3. **شخصيات عادية:** تتميز أفلامها بتقديم شخصيات تمثل الناس العاديين، مما يسهل تعاطف المشاهدين معها. هذه الشخصيات تعكس التحديات اليومية التي يواجهها الأفراد، مثل الصراع من أجل البقاء أو البحث عن الهوية.

4. **تركيز على القضايا الاجتماعية:** غالبًا ما تتناول أفلامها قضايا معاصرة مثل الفقر، والتمييز، والصراعات الداخلية. يشير ستيفن د. كاتز في كتابه إلى أن "الواقعية في السينما تتطلب أن نكون صادقين مع ما نعرضه، وهذا يتطلب شجاعة كبيرة" (كاتز، 1991، ص 75). هذا التركيز على القضايا الاجتماعية يساعد في رفع مستوى الوعي بين الجمهور.

5. **التقنيات السينمائية:** تستخدم المدرسة تقنيات مثل الكاميرات المحمولة، والإضاءة الطبيعية، وأساليب التصوير الوثائقي. هذه التقنيات تساهم في خلق إحساس بالحميمية والواقعية، مما يجعل المشاهد يشعر بأنه جزء من القصة.

تأثير المدرسة الواقعية على السينما

لقد أسهمت المدرسة في تشكيل العديد من الحركات السينمائية اللاحقة. أدت أساليبها إلى ظهور حركات جديدة مثل الواقعية الجديدة في السينما الإيطالية، التي تأثرت بشدة بالتجارب الواقعية وعرضت قصصًا عن الفقر والبطالة. كما ألهمت أيضًا العديد من صناع الأفلام المستقلين الذين أرادوا تقديم تجارب إنسانية صادقة.

تُعتبر المدرسة جزءًا أساسيًا من تاريخ السينما، حيث تسهم في توسيع آفاق الفهم الإنساني وتقديم قضايا الحياة اليومية بشكل مؤثر. من خلال التركيز على الصدق الفني، تستمر الواقعية في التأثير على صناع الأفلام والسينما المعاصرة. إن تأثير هذه المدرسة يمتد إلى الأجيال الجديدة من المخرجين الذين يسعون إلى تقديم تجارب سينمائية تعكس حقيقة الحياة بشكل عميق وصادق.